تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

الفقر يتفاقم والمسارح تعدّ لحروب جديدة أي عالم في 2025 وأي عالم في 2026؟

مَن يتصور عالما سعيدا في 2026، ربما سيكون عليه ان يراجع حساباته. السنة الثقيلة التي تمر الان، وبتحولاتها الكبيرة، حملت الى جانب ازماتها وحروبها، شرارات نزاعات جديدة ومحتملة، قد تقود الى عالم اكثر خرابا وشهية اكبر للاقتتال، فيما يعاد رسم مشهد توازنات وخارطة القوى العالمية

لأخذ صورة شاملة للمشهد العالمي اليكم هذه الارقام: منظمة اوكسفام الانسانية قالت ان اصحاب المليارات في الاقتصادات الكبرى في العالم حققوا 2.2 تريليون دولار العام الماضي، وهو مبلغ يكفي لانتشال كل فقراء العالم من براثن الفقر. وقد نمت ثروات هؤلاء مجتمعة الى 15.6 تريليون دولار، علما ان التكلفة السنوية لإخراج 3.8 مليارات شخص يعيشون حاليا تحت خط الفقر، تبلغ 1.65 تريليون دولار.

في الوقت ذاته، توتر وحرب مدمرة في قلب القارة العجوز، اوروبا، ومخاوف من اتساعها خارج اوكرانيا، بعدما فرضت واشنطن، الغارقة في اكبر ديون في تاريخها، على الاوروبيين رفع ميزانياتهم العسكرية بشكل كبير، ثم فرضت عليه مجددا خطة سلام، يراها العديد من الاوروبيين مثابة "استسلام" امام فلاديمير بوتين.

وفي المقلب الاخر من العالم، بدا ان دونالد ترامب، حاول تخفيف حدة التوتر الذي تصاعد مع الصين بسبب حروبه الجمركية التي أعلنها عليها وبادلته هي الرد، لكنه في الوقت نفسه، اشعل فتيل ازمات جديدة في الشطر الغربي من العالم، وتحديدا في فنزويلا وكولومبيا والمكسيك، وهو يهددها بخليط من الاعمال العسكرية والضغوط الاقتصادية والسياسية، ثم يصحو فجأة على نيجيريا في قلب القارة الافريقية ليصفها بأنها تشكل تهديدا للوجود المسيحي، ويتوعدها ايضا بعمل عسكري وعقوبات. في تكرار للتهمة التي وجهها لجنوب افريقيا سابقا بانها تسمح بـ"ابادة جماعية" ضد البيض.

يحدث كل ذلك على خلفية الاخلال الدموي بالمشهد في الشرق الاوسط والذي ساهم ترامب فيه، وسبقه سلفه جو بايدن، لمصلحة اسرائيل، في هجومها على غزة، ثم استمرار التغطية

> **الهوة تتزايد بين الاثرياء والفقراء وواشنطن تحت اكبر ديونها**

الاميركية لاستمرار الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان، والتغاضي عن التدمير الاسرائيلي شبه الكامل للمقدرات العسكرية السورية برغم سقوط نظام الاسد، والانخراط الترامبي المباشر في الحرب التي نقلتها اسرائيل على داخل ايران وكادت تتسبب بانفجار اقليمي واسع، بعدما استخدمت الاجواء العربية لضرب ايران ومنشاتها النووية وقيادتها العسكرية ونخبها العلمية، لتتساقط صواريخ ايرانية على قاعدة العديد الاميركية في قطر، قبل ان يسرع ترامب جهود وقف اطلاق النار لهذه الحرب التي تبدو مؤجلة مؤقتا، ربما الى العام 2026.

في كل الاحوال، يسيطر الخوف على القارة الاوروبية من اتساع حرب اوكرانيا وقد لا يكون الاوروبيون قد استعدوا لها بشكل كاف، وسط الاجواء الدولية المشحونة. مرد هذا الخوف الاوروبي نابع من عدم تمكنهم اولا من تحقيق نصر حاسم في معركة اوكرانيا والتي تحولت من استنزاف روسيا الى استنزاف الدول الاوروبية. أما ثانيا وهو ربما الاهم، فهو خروجهم من معظم الدول الافريقية التي كانوا لا يزالون يسيطرون عليها ضمن نطاق اشكال الاستعمار الجديدة.

رغم المحاولات الاوروبية للاستعداد لحرب

محتملة، فان الامكانات لا تزال متواضعة مقارنة بالامكانات الروسية المعززة بعلاقات استثنائية مع الصين، ومع انخراط كوري شمالي مباشر من خلال جنود بيونغ يانغ على الجبهة الاوكرانية.

كانت دول اوروبية هي ليتوانيا وبلجيكا والتشيك والمانيا ولوكسمبورغ وهولندا وبولندا وسلوفاكيا، اتفقت على مذكرة تفاهم لضمان التنقل العسكري في المناطق الوسطى والشمالية والشرقية، وذلك عبر توحيد قواعد عبور حدود الدول وتنسيق وسائل النقل وتبادل المعلومات والتطوير المتزامن للبنى التحتية، بهدف تسهيل نشر المعدات العسكرية بما في ذلك السكك الحديدية والعبارات القادرة على نقل الدبابات والمدفعية الثقيلة، في حالة نشوب صراع مع روسيا. وفيما يمثل تعبيرا عن الهواجس الاوروبية، قال وزير الدفاع السويدي كارل اوسكار بوهلين، ان "روسيا تمارس اعمالا مزعزعة للاستقرار قد تؤثر على جميع دول الاتحاد الأوروبي، وان هذه القدرة قد تتصاعد اذا لم تعد روسيا منخرطة في النزاع الاوكراني".

ووصف هذا التجمع بأنه "تحالف الراغبين في التأهب للازمات" الذي يعتبر ان جهوده ضرورية أكثر من اي وقت مضى لأن الازمات الحالية اصبحت تتجاوز الحدود والقطاعات وتتزايد تعقيدا.

هناك حالة فشل غربي، أوروبي - اميركي، لإنهاء الحرب الاوكرانية، التي بدلا من تسويتها، تحولت الى معضلة اوروبية شائكة ومستنزفة منذ العام 2022، فيما تنقل ترامب ما بين الانتقاد والاغراء لكل من بوتين والرئيس الاوكراني فلوديمير زيلينسكي، الا ان طرح الان خطة جديدة، خلاصتها الاساسية ان على كييف، والاوروبيين، ان يقدموا تنازلات هائلة، من بينها: التنازل عن منطقة دونباس والاعتراف بالقرم ولوغانسك ودونيتسك كمناطق روسية بحكم الامر الواقع، بما في ذلك من قبل الولايات المتحدة. وستوضع محطة زابوريجيا النووية التي احتلها روسيا، تحت اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، لتقاسم الكهرباء المنتجة فيها ما بين روسيا واوكرانيا. اضافة الى ذلك، سيخفض عديد الجيش الاوكراني الى 600 ألف شخص فقط، وسيمتنع حلف "الناتو" عن نشر قوات تابعة له في اوكرانيا، كما لم يسمح لكييف بالدخول الى "الناتو"، على ان تحصل على "ضمانات امنية موثوقة"، وينشر في اطار ذلك مقاتلات اوروبية في بولندا المجاورة. كما ستعود روسيا الى الاقتصاد العالمي عبر "مجموعة الـ8" وترفع عنها العقوبات. كما تتضمن خطة ترامب ايضا ما يقول انه "من المتوقع الا تغزو روسيا الدول المجاورة، والا يتوسع الناتو أكثر". وتنص ايضا على ان جميع العقوبات سيعاد فرضها إذا غزت روسيا اوكرانيا مرة اخرى، "اضافة الى رد عسكري منسق وحاسم". كذلك سيتم تخصيص 100 مليار دولار من الاصول الروسية المجمدة لإعادة اعمار اوكرانيا، بينما سيتم استثمار مبالغ اخرى في صندوق استثماري أميركي - روسي منفصل "يهدف الى تعزيز العلاقات وزيادة المصالح المشتركة لخلق حافز قوي لعدم العودة الى الصراع". كما ستنظم انتخابات في اوكرانيا في غضون 100 يوم.

هناك بالفعل مخاوف في انحاء اوروبا خصوصا، من اندلاع حرب عالمية ثالثة والتي كانت القارة العجوز شرارة للحربين الاولى والثانية خلال القرن 20. هذه المخاوف تزايدت بعدما هددت روسيا من ان استمرار امداد كييف بالأسلحة النوعية لضرب العمق الروسي قد يجعل موسكو ترد وبقوة، حتى بالصواريخ على عواصم اوروبية خلال دقائق، بحسب الانذار الذي اعلن عنه نائب رئيس مجلس الامن الروسية ديمتري ميدفيديف.

وكانت لهجة روسيا وسلوكها، قد تصاعدا في الفترة الاخيرة، ولم يكن اعلان بوتين عن غواصة "بوسيدون" النووية التي وصفها الخبراء بانها مثابة "سلاح يوم القيامة"، الا تنبيها اخيرا بأن الحرب ستكون لها عواقب وخيمة وبأن موسكو مستعدة وتملك مفاجآت، تفرض على الغرب اعادة حساب تكلفة المعركة القادمة، خصوصا ان هذه الغواصة القادرة على الغوص من دون كشفها بسهولة والابحار لفترات طويلة ومن دون طاقم، تعزز قدرة روسيا على تنفيذ "الضربة النووية الثانية" في حال تعرضها لهجوم نووي اول.

ربما يكون لقاء ترامب وبوتين في آب الماضي، ساهم في تهدئة هواجس موسكو من التآمر ◄

ديون اميركا

تجاوز الدين الاجمالي للحكومة الاميركية مستوى 38 تريليون دولار، مسجلا اعلى مستوياته على الاطلاق مما يعكس التراكم المتسارع للديون. ويعني ايضا ان الدين الاميركي يتراكم بمعدل 4.8 ملايين دولار في الدقيقة تقريبا، و6.9 مليارات دولار يوميا.

يعادل رقم 38 مليار دولار تقريبا، قيمة اقتصادات الصين والمانيا واليابان والهند وبريطانيا معا.

◄ الغربي ضدها، وربما ايضا يكون قد مهد فعليا لطرح الرئيس الاميركي خطته الجديدة للسلام في اوكرانيا، بعدما خلص الى ان روسيا وان لم تتمكن من تحقيق فوز كاسح في الحرب، الا ان الاوروبيين ايضا لم يتمكنوا من الحاق هزيمة ببوتين.

لكن الحديث عن الجانب الاوروبي وحده غير كاف لاعطاء صورة عن النزاعات الجارية تحت ظلال الحرب العالمية الثالثة المفترضة، خاصة ان الملفات العالمية مترابطة بشكل كبيرة، حيث يقول مراقبون اميركا فاوضت روسيا على الملف السوري وهو ما قاد الى سقوط نظام بشار الاسد في دمشق واستبداله بخصوم روسيا، المتمثلين بمجموعات من "الجهاديين" المتطرفين، وذلك في مقابل تهدئة الجبهة الاوكرانية، او معالجتها تماما لصالح موسكو، مثلما تظهره الان خطة ترامب.

كثيرا ما ربطت مشاهد حرب الايام الـ12 على ايران، من جانب اسرائيل والولايات المتحدة، بأنها لم تكن تستهدف طهران وحدها، وانما ايضا نفوذ روسيا والصين في المشهد الاقليمي الاوسع. وقد اعطت واشنطن الضوء الاخضر لهذا الهجوم الاسرائيلي الواسع على ايران، والذي استهدف ولم ينجح النظام الايراني نفسه، وذلك خدمة لأجندتها الاقليمية بطبيعة الحال، وايضا من اجل التخلص من البرنامج النووي الايراني، بما في ذلك مفاعل فودو، الاكبر من نوعه، والذي يشغله خبراء روس. كان العالم فعليا على شفير حرب نووية بعدما اندلعت حرب مصغرة بين الهند وباكستان في ايار الماضي، وهو نزاع قابل للاشتعال باي لحظة في العام 2026. ورغم انتهاء الاشتباك الهندي الباكستاني سريعا، لكن الخبراء توقفوا كثيرا عند نجاح الاسلحة الصينية التي في حوزة الجيش الباكستاني من التفوق على الاسلحة الاميركية والاوروبية التي في حوزة الجيش الهندي، وهو ما يحمل مؤشرات تفرض على واشنطن مراجعة حساباتها وتقديراتها العسكرية في محاولات تطويق الصين واضعافها، والالويات الاستراتيجية الاميركية المتمثلة في التركيز على المخاطر والتحديات المتمثلة بالتنين الصيني والدب الروسي وجنوب شرق آسيا.

رغم هذه الاولويات المعلنة في الرؤية الاستراتيجية الاميركية، الا ان الولايات المتحدة لا تبدو حتى الان معنية بفتح معارك كبرى. لقاء ترامب مع بوتين في الاسكا في آب الماضي وخطة سلام اوكرانيا، توحي بذلك، مثلما تعزز هذه الفكرة لقاء ترامب مع نظيره الصيني شي جين بينغ في بوسان الكورية الجنوبية في تشرين الاول الماضي، وهو لقاء ساهم في تهدئة التوتر بين اكبر اقتصادين واكبر قوتين عسكريتين في العالم، بعد توتر الحرب التجارية بينهما، حيث نزلت خسائر هائلة بالمزارعين الاميركيين قدرت بأكثر من 12 مليار دولار بعدما امتنعت بكين عن شراء المحاصيل الزراعية الاميركية وخصوصا فول الصويا.

لا تقتصر نقاط التوتر الأميركي - الصيني على ذلك، اذ تتعلق ايضا بقيود الصين على صادرات المعادن الارضية النادرة وقضية السيطرة على "تيك توك" والدعم الصيني لروسيا في الحرب الاوكرانية، والاهم ايضا الخلاف حول تايوان وبحر الصين الجنوبي، حيث ان بكين لا تخفي استعدادها لاستخدام القوة لاستعادة ما تعتبره "ارضا تابعة لها تاريخيا"، بينما تؤكد واشنطن مرارا انحيازها الى تايوان واستعدادها للدفاع عنها، وهو ما يمثل اكثر من مجرد خلاف جغرافي، بل هو صراع على الهيمنة في منطقة تمثل قلب التجارة العالمية ومسارا استراتيجيا حيويا.

لا يبدو ان الولايات المتحدة معنية الان ايضا باثارة مواجهة مع كوريا الشمالية، وهو ما تجلى على الاقل في قول ترامب مؤخرا انه يرغب بلقاء الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ اون، رغم ادراكه ان الكوريين الشماليين يقاتلون الى جانب الروس في معركة كورسك ضد القوات الاوكرانية، وهي رغبة تثير بعض الاطمئنان في نفوس قادة كوريا الجنوبية واليابان وغيرها من دول الشرق الآسيوي. يبدو منحى ترامب متجها نحو خوض "حروب صغيرة"، او التلويح بها، بما يستكمل اهدافه ومصالح الولايات المتحدة بحسب رؤيته. دخوله السريع والخروج من العدوان على إيران يوحي بذلك، حتى وان كان يرى فيها "قصقصة اجنحة" روسيا اقليميا واستكمال لضرب "محور المقاومة" في المنطقة، وتغليب رؤيته للتسوية التي سعى الى فرضها عبر بوابة حرب غزة.

في اطار فكرة "الحروب الصغيرة" هذه، يمكن متابعة مشهد الضغط والتحشيد العسكري الاميركي في منطقة الكاريبي، والضربات الجوية التي تنفذ على قوارب، يقول الاميركيون انها لمهربي مخدرات، وذلك بعدما روج ترامب لتهمة تجارة المخدرات ضد الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو، ومهد لعمل عسكري ضد

هذا البلد، الذي يعتبر من بين الاكثر ثراء في موارده النفطية.

لا يتوقف الامر هنا بما يتعلق بمصائر الشعوب والدول. ترامب نفسه قال مؤخرا انه منفتح على شن هجمات داخل المكسيك وكولومبيا لوقف تدفق المخدرات الى الولايات المتحدة، وبانه سيكون "فخورا" بضرب منشآت المخدرات في دول اخرى. وقال مشيرا الى المكسيك ايضا "هذا أشبه بحرب، هل سأخوضها؟ سأكون فخورا بذلك." ثم تابع مشيرا الى كولومبيا انها "تمتلك مصانع كوكايين تنتج الكوكايين - هل سأدمر تلك المصانع؟ سأكون فخورا بذلك شخصيا. لم اقل انني سأفعل ذلك، لكنني سأكون فخورا بذلك، لأننا سننقذ ملايين الارواح من خلال القيام بذلك."الرئيس الكولومبي غوستافو بيترو كان قد شن خلال الشهور الماضية العديد من الانتقادات ضد ادارة ترامب بسبب السياسة الدولية تتردى الى مستويات تبادل الاتهامات بالبلطجة. مؤخرا، اتهم الرئيس الكولومبي الولايات المتحدة بأنها تخطط لأسره وسجنه. في الوقت نفسه، تتزايد الحشود العسكرية الاميركية بالقرب من فنزويلا المجاورة، ما أجبر شركات طيران على الغاء رحلاتها الى فنزويلا. ترامب ايضا وجه انظاره الى نيجيريا، احدى أكبر الدول المنتجة للنفط. ترامب صنف هذا البلد الافريقي الكبير، بأنه "دولة مثيرة للقلق بشكل خاص"، حيث يوجد "تهديد وجودي ملح" للمسيحيين الذين يتعرضون لهجمات من جانب جماعات اسلامية ارهابية، مطالبا بإجراء تحقيقات ومهددا بتدخل عسكري وتعليق المساعدات الاميركية، في حال لم تتخذ الحكومة النيجيرية اجراءات حاسمة. لم يكن هذا التصنيف صدفة، ذلك انه جاء بعد تقارير عن اعتقال عشرات العسكريين النيجيريين مشتبه بمحاولتهم التخطيط للانقلاب الى الرئيس بولا تينوبو.

> **الناتو يرفع انفاقه العسكري واخلال دموي في مشهد المنطقة**

موقفها بتغطية الابادة في غزة، مطالبا بارسال الجيوش لحماية غزة، وخرج ترامب ليصفه بانه "وغد وبلطجي" وبأن بلاده "وكر للمخدرات ولن يفلتوا من العقاب".

"بلطجة"؟ ربما. ما يجري على الساحة العالمية الآن، يذكر ايضا بمواقف واسلوب الدولة العظمى الاكبر في العالم، الغارقة حكومتها في أكبر ديون في تاريخها، عندما هدد ترامب بنما (للاستيلاء على قناتها البحرية)، وكندا (التي اراد تحويلها الى ولاية اميركية) وغرينلاند (التي اراد انتزاعها من الدنمارك). اي عالم سنشهد في العام 2026؟